الفصل الأول

القرآن يقرر منهج الوسطية

الفصل الأول
القرآن يقرر منهج الوسطية

تمهيد: نزل القرآن الكريم هداية للناس ونوراً، يخرج به الله من شاء من الظلمات إلى النور، ولزوم منهج الوسطية عين الاستقامة والهداية والصراط المستقيم؛ ولذلك فقد جاءت الآيات مستفيضة ترسم منهج الوسطية وتدل عليه. والوسطية منهج متكامل شامل غير محصور فى ركن من الأركان، لا فى جزئية من الجزئيات، ولا فى حكم من الأحكام، ولا فى أصل من الأصول، فالإسلام كله وسط، وهذه الأمة هى أمة الوسط: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة:١٤٣].

ولذلك جاء القرآن مقرراً لمنهج الوسطية فى أبواب الاعتقاد، والعبادات والحكم والتحاكم، وفى باب الجهاد، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وغيرها من الأبواب والمجالات، وبياناً لهذه الحقيقة وتجلية لها، سنعيش مع كتاب الله متأملين بعض ما ورد فيه، تأكيداً لهذه الحقيقة وتأصيلاً لها، وقبل أن أشرع فى الهدف المطلوب، ومعنى المنهج فى اللغة وفى الاصطلاح. سأقف مع فاتحة الكتاب حيث إنها من أولها إلى آخرها تقرر هذه الحقيقة وتؤكدها.

المبحث الأول
التعريف بالقرآن الكريم

أولاً: معنى القرآن فى اللغة:

القرآن من مادة قرأ، ومنه قرأت الشيء فهو قرآن: أى جمعته، وضممت بعضه إلى بعض، فمعناه: الجمع والضم. ومنه قولهم: ما قرأت هذه الناقة سلى قط، وما قرأت جنيناً، أى لم تضم رحمها على ولد(١).

قال أبو عبيدة (٢) رحمه الله: (...وإنما سمى قرآنا لأنه يجمع السور فيضمها وتفسير ذلك فى آية القرآن، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾. [القيامة: ١٧] مجازه: تأليف بعضه إلى بعض...) ثم قال: وفى آية أخرى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ﴾. [النحل: ٩٨] مجازه: إذا تلوت بعضه فى إثر بعض، حتى يجتمع، وينضم بعضه إلى بعض، ومعناه: يصير إلى معنى التأليف والجمع، ثم استشهد على هذا المعنى، يقول عمرو بن كلثوم (٣):

ذراعى حرة أدماء بكر هجان اللون لم تقرأ جنيناً (٤)

أى لم تضم فى رحمها ولداً قط (٥) فسمى القرآن قرآناً، لأنه جمع القصص، والأمر والنهى، والوعد والوعيد، والآيات والسور: بعضها إلى بعض (٦).

---

(١) انظر: الصحاح للجوهرى، مادة قرأ: ١/ ٦٥.

(٢) هو معمر بن المثنى التيمى مولاهم البصرى، النحوى، صاحب التصانيف، ولد سنة ١١٠ هـ ومات سنة ٢٠٩ هـ وقيل ٢١٠ انظر: سير أعلام النبلاء: ٩/ ٤٤٥.

(٣) هو عمرو بن كلثوم التغلبى من أصحاب المعلقات السبع ومن كبار شعراء الجاهلية انظر: شرح المعلقات السبع: ١٨٠.

(٤) انظر: شرح القصائد السبع الطوال، لأبى بكر محمد بن القاسم الأنبارى: ٣٨٠.

(٥) مجاز القرآن لأبى عبيدة معمرة التيمى: ١/ ١-٣.

(٦) انظر: لسان العرب، كتاب (أ-ب) فصل الهمزة، باب قرأ: ١/ ١٢٨.

ويذكر أبو بكر الباقلاني [١] : أن القرآن يكون مصدراً واسماً: مصدرا كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾.[القيامة: ١٧] واسما كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا﴾.[الإسراء: ٤٥].

ويروى عن الشافعي رحمه الله : أن القرآن اسم علم لكتاب الله، غير مشتق: كالتوارة، والإنجيل [٢].

قال القرطبي رحمه الله : (والصحيح الاشتقاق في الجميع) [٣]. أي في القرآن والتوراة والإنجيل.

معنى القرآن في الاصطلاح:

القرآن الكريم هو اسم لكلام الله تعالى، المنزل على عبده ورسوله: محمد ﷺ، وهو اسم لكتاب الله خاصة، ولا يسمى به شيء غيره من سائر الكتب [٤]، وإضافة الكلام إلى الله تعالى إضافة حقيقية، من باب إضافة الكلام إلى قائله.

ولما ظهر الخوض في صفات الله تعالى، وفي كلام الله خاصة، من قبل الزنادقة، وفرق المبتدعة، احتاج أهل السنة إلى تعريف القرآن تعريفاً يظهرون فيه معتقدهم في صفات الله تعالى عامة، وفي صفات الكلام خاصة، ومنه القرآن، مخالفين بذلك أهل البدع من الجهمية والمعتزلة وغيرهم.

فقال أبو جعفر الطحاوي [٥] رحمه الله: (وإن القرآن كلام الله، منه بدا بلا

---

(١) هو إمام المتكلمين ورأس الأشاعرة أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد القاضي المعروف بابن الباقلاني البصري المالكي صاحب المصنفات وكان له بجامع المنصور حلقة عظيمة، وكان ورده في الليل عشرين ترويحة في الحضر والسفر فإذا فرغ منها كتب خمساً وثلاثين ورقة من تصنيفه ويعد من أكبر الأشاعرة توفي سنة: ٤٠٣ هـ انظر: شذرات الذهب: ٣/ ١٦٧.

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ٢/ ٢٩٨.

(٣) نفس المرجع السابق: ٢/ ٢٩٨.

(٤) المرجع السابق: ٢/ ٢٩٨.

(٥) هو الحافظ الفقيه أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي الازدي المصري، شيخ الحنفية في مصر، ونسبه إلى طحا، قرية بصعيد مصر توفي عام ٣٢١ بمصر انظر: البداية والنهاية: ١١/ ١٧٤.

كيفية قولاً، وأنزله على رسوله وحياً، وصدقه المؤمنون على ذلك حقاً ،وأيقنوا أنه كلام الله تعالى بالحقيقة، ليس بمخلوق ككلام البرية، فمن سمعه، فزعم أنه كلام البشر فقد كفر)[١] .

ثانياً: التعريف بالمنهج فى اللغة والاصطلاح:

أ ـ معنى المنهج فى اللغة [٢]:

المنهج من مادة نهج، ينهج نهجاً، وهو الطريق البين الواضح، ويطلق على الطريق المستقيم، والمنهج، والمنهاج والنهج: بمعنى واحد. وفى التنزيل قوله تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾. [المائدة: ٤٨]. قال ابن عباس رضى الله عنهما: سبيلاً وسنة [٣]. وهو مروى عن مجاهد، وعكرمة والحسن البصرى، وغيرهم، وروى عن ابن عباس: سنة وسبيلاً، ورجح ابن كثير رحمه الله التفسير الأول، لظهوره فى المعنى ومناسبته [٤]. وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله: والمنهاج: السبيل، أى الطريق الواضح) [٥]. وتفسير ابن عباس الأول هو المختار.

ب ـ معنى المنهج فى الاصطلاح:

المنهج: هو الطريق المؤدى إلى التعريف على الحقيقة فى العلوم، بواسطة طائفة من القواعد العامة، والتى تهيمن على سير العقل، وتحدد عملياته حتى يصل إلى نتيجة معلومة [٦] وبعبارة أوجز: هو القانون أو القاعدة التى تحكم أى محاولة للدراسة العلمية، وفى أى مجال [٧]، ومن ثم تختلف المناهج باختلاف العلوم التى تبحث فيها، فلكل علم منهج يناسبه، ومع وجود حد مشترك بين المناهج

---

(١) شرح الطحاوية: ١٢١ ، ١٢٢.

(٢) انظر: لسان العرب باب الجيم، فصل النون: ٢/ ٣٨٣.

(٣) صحيح البخارى مع الفتح، كتاب الإيمان، باب قول النبى ﷺ : «بنى الإسلام على خمس » ١/ ٦٠.

(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣/ ١٢٠ .

(٥) انظر: فتح البارى، كتاب الإيمان، باب بنى الإسلام ١/ ٦٤ .

(٦) انظر: العلم والبحث العلمى، لسحين رشون ١٤٣ ـ ١٤٥ .

(٧) انظر منهج البحث العلمى عند العرب، لجلال موسى ٢٧١ .

المختلفة، وقد تتعاون ـ وهو الغالب ـ مجموعة من المناهج لخدمة ومعالجة فن واحد (١).

سورة الفاتحة تقرر منهج الوسطية:

إن أم الكتاب تقرر منهج الوسطية من أولها إلى آخرها وأظهر آية فيها شاهدة بذلك هى قوله تعالى: ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ [الفاتحة: ٦] وما بعدها.

وهذه الآية صريحة فى تحديد المنهج الوسط، ذلك أنها بينت أن هذا الصراط هو صراط الذين أنعم الله عليهم. قال الطبرى رحمه الله :(أجمعت الأمة من أهل التأويل جميعاً على أن الصراط المستقيم هو الطريق الواضح الذى لا اعوجاج فيه، وكذلك فى لغه جميع العرب، فمن ذلك قول الشاعر:

أمير المؤمنين على صراط إذا اعوج الموارد مستقيم

قال ابن عباس رحمه الله: ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ [الفاتحة :٦] يقول: ألهمنا الطريق الهادى، وهو دين الله الذى لا عوج له (٢) ثم قال: وكل حائد عن قصد السبيل وسالك غير المنهج القويم فضال عند العرب، لإضلاله وجه الطريق(٣).

وقد بين الله لنا أن الصراط المستقيم، هو منهج الوسط، حيث قال واصفا الصراط المستقيم : ﴿ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ ﴾.[الفاتحة:٧] ومنهج المغضوب عليهم يمثل: التفريط، بينما يمثل منهج الضالين : الإفراط، فهما منهجان دائران بين الغلو والجفاء.

قال ابن كثير رحمه الله :(غير صراط المغضوب عليهم، وهم الذين فسدت إرادتهم، فعلموا الحق وعدلوا عنه، ولا صراط الضالين، وهم الذين فقدوا العلم، فهم هائمون فى الضلالة لا يهتدون إلى الحق) (٤).

وبهذا يتبين لنا أن هناك ثلاثة طرق: طريق الذين أنعم الله عليهم، وطريق

---

(١) انظر منهج البحث العلمى عند العرب، لجلال موسى ٢٧١ .

(٢) انظر تفسير الطبرى ١ / ٧٣، ٧٤ .

(٣) المرجع السابق ١ / ٨٤ .

(٤) انظر تفسير ابن كثير ١ / ٢٩ .

المغضوب عليهم، وطريق الضالين، والله أمرنا بالالتزام بسبيل الذين أنعم الله عليهم؛ لأنه هو الصراط المستقيم، وهو منهج وسط بين سبيلين منحرفين، وهما سبيلا اليهود والنصارى، وكل طريق منحرف عن منهج الصراط المستقيم فله حظ من أحد هذين المسبيلين؛ ولأن الاستقامة تعنى الوسطية كما تبينها آية الفاتحة، وكما وضحت ذلك فى ملامح الوسطية ، جاءت الآيات متعددة تدعو إلى الاستقامة بأساليب متعددة وألفاظ متقاربة وهى تدور بين الخبر والإنشاء. ومن هذا المنطلق، وبعد أن تقرر أن طريق الاستقامة هو طريق الأمة الوسط، فإن كل آية وردت فى الاستقامة فهى آية فى تحقيق الوسطية والدعوة إليها والآيات فى هذا الباب كثيرة جداً أذكر بعضا منها دلالة على المراد، وبياناً لهذا المنهج.

قال سبحانه :﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا ﴾. [هود:١١٢] وقال : ﴿ فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ ﴾. [الشورى:١١٥] فقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَطْغَوْا ﴾ بعد أن أمر بالاستقامة، والطغيان وهو مجاوزة الحد [١] وهو خروج عن منهج الوسطية إلى الانحراف عن السبيل.

وفى الآية الثانية قال: ﴿ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ ﴾ واتباع الهوى خروج عن الاستقامة، وانحراف عن منهج الوسط وتواصل الآيات فى هذا الشأن، ففى سورة البقرة : ﴿ يَهْدِى مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾. [البقرة:١٤٢].

وفى آل عمران : ﴿ وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ وفى الأنعام: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِى مُسْتَقِيمًا ﴾. [الانعام:١٥٣] وفيها: ﴿ قُلْ إِنَّنِى هَدَانِى رَبِّى إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ﴾. (الأنعام: ١٦١) وفى النحل ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾. [النحل:٧٦] .

وفى الزخرف: ﴿ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِى أُوحِىَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾. [الزخرف: ٤٣] وفى سورة الملك: ﴿ أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِى

---

(١) انظر : تفسير القرطبى ٩ /١٠٧ .

سَوِيًا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ . [الملك : ٢٢] إلى غير ذلك من الآيات، حيث إن كل واحدة منها دالة على أن الصراط المستقيم : هو الطريق الذى أمرنا باتباعه واجتناب ما عداه؛ لأنه هو طريق الحق والعدل والوسط، وماعداه طريق الضلال والغواية والانحراف عن الصراط المستقيم، وها هو الشيطان يعلن هذه الحقيقة قائلاً كما ذكر الله فى سورة الأعراف : ﴿ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ .[الأعراف : ١٦] وصدق الله العظيم إذ يقول : ﴿مَن يَشَأِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ . [الأنعام : ٣٩] .

وفى سورة التكوير : ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ﴾ .[التكوير : ٢٧ - ٢٨] وهذه الآية نص فى أن القرآن كله دعوة للاستقامة والسير على المنهج الحق، قال القرطبى : ﴿إِنْ هُوَ ﴾ يعنى القرآن ﴿إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾ أى موعظة وزجر : ﴿ لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ﴾ أى يتبع الحق ويبقى عليه (١) .

ومما سبق يتضح لنا أن سورة الفاتحة وضعت القاعدة والمنطق ورسمت المنهج وحددت معالمه ثم جاءت الآيات بعد ذلك مقررة لذلك وداعية له .

(١) انظر : تفسير القرطبى ١٩ / ٣٤٣ .

المبحث الثانى
وسطية القرآن فى العقيدة

أولا : التعريف بالعقيدة :

أ ـ العقيدة لغة : (من العقد ، وهو الربط والشد بقوة، منه الإحكام والإبرام، والتماسك والمراصة والإثبات والتوثق) (١) .

أ ـ العقيدة فى الاصطلاح : كلمة العقيدة لم تكن موجودة فى الكتاب والسنة، ولا فى أمهات المعاجم، وإن أول من تم الوقوف على ذكره لجمعها (عقائد) هو القشيرى (٢) سنة ٤٣٧ هـ فى كتاب الرسالة وهى كلمة مولدة لم تكن فى الصدر الأول (٣) .

وقد عرفها الدكتور ناصر العقل (٤) فقال : (الإيمان الجازم بالله وما يجب له فى ألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته، والإيمان بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، والقدر خيره، وشره، وبكل ماجاءت به النصوص الصحيحة فى أصول الدين وأمور الغيب وأخباره وما أجمع عليه السلف الصالح والتسليم لله تعالى فى الحكم والأمر والقدر والشرع ولرسوله ﷺ بالطاعة والتحكيم والاتباع) (٥) .

يشمل التوحيد ، والإيمان، والإسلام، والغيبيات، والنبوات، والقدر، والأخبار، وأصوله الأحكام القطعية، وسائر أصول الدين، والاعتقاد، ويتبعه الرد

---

(١) انظر لسان العرب مادة عقد ، فصل العين المهملة ٣ / ٢٩٥ .

(٢) هو أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيرى صاحب الرسالة والتفسير وغيرهما صحب أبا على الدقاق وغيره، أخذ الفقه فاتقنه، وأخذ الأصول على ابن فورك والأستاذ أبى إسحاق ولد سنة ٣٧٧ هـ وتوفى سنة ٤٦٥ هـ انظر: تاريخ بغداد ١١ /٨٣، ترجمة رقم ٥٧٦٣ .

(٣) انظر معجم المناهى اللفظية للشيخ بكر أبوزيد : ٢٤٢ .

(٤) هو ناصر عبد الكريم العقل من علماء العقائد بنجد تحصل على درجة الدكتوراة وأشرف على رسائل علمية فى كلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود .

(٥) مباحث فى عقيدة أهل السنة والجماعة :٩ .

معلى أهل الأهواء والبدع وسائر الملل والنحل، والمذاهب الضالة، والموقف نهم ومن مسميات هذا العلم، العقيدة، والتوحيد، والسنة، وأصول الدين.

والعقيدة فى الإسلام تقابل الشريعة، إذ الإسلام عقيدة وشريعة تعنى التكاليف العملية التى جاءت فى القرآن، والسنة النبوية فى العبادات والمعاملات.

والعقيدة هى أمور علمية يجب على المسلم أن يؤمن بها؛ لأن الله أخبرنا بها بطريق كتابه، أو بطريق وحيه إلى رسوله ﷺ، وأصول العقائد التى أمرنا الله باعتقادها هى التى حددها الرسول ﷺ فى حديث جبريل المشهور بقوله: «الإيمان أن تؤمن بالله، وملائكته وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره من الله تعالى» (١).

فالعقيدة فى ديننا هى التى تدور حول قضايا معينة، هى التى أخبرنا بها الله ورسوله، وليست اعتقاد أى شىء، وحتى تصبح هذه عقيدة لابد أن تصدق بها تصديقاً جازماً لا ريب فيه، فإن كان فيها ريب أو شك كانت ظناً لا عقيدة (٢). والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾. [الحجرات: ١٥] وقوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾. [البقرة: ١، ٢] وقال: ﴿إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ﴾. [آل عمران: ٩] وذم المشركين المرتابين ﴿وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾. [التوبة: ٤٥] والمسائل التى يجب اعتقادها أمور غيبية، ليست مشاهدة منظورة، وهى التى عناها الله بقوله عندما مدح المؤمنين: ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ [البقرة: ٣] فالله غيب وكذلك الملائكة واليوم الآخر، أما الكتاب والرسل فقد يتبادر أنها تشاهد وتنظر، ولكن المراد هو الإيمان بنسبتها إلى الله أى كون الرسل مبعوثين من عند الله، وأن الكتب منزلة من عند الله، وهذا أمر غيبى.

ثانياً: العقيدة الصحيحة والعقيدة الفاسدة:

العقيدة ليست مختصة بالإسلام، بل كل ديانة أو مذهب لابد لأصحابه من

---

(١) مسلم، كتاب الإيمان، باب الإيمان بالقدر ١/ ٣٨، رقم ٨.

(٢) انظر: العقيدة فى الله لعمر الأشقر: ٩، ١٠.

عقيدة يقيمون عليها نظام حياتهم، وهذا ينطبق على الجماعات والأفراد والأمم والشعوب، والعقائد منذ بدء الخليقة إلى اليوم، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهى قسمان:

الأول: يمثل العقيدة الصحيحة، وهى تلك العقائد التى جاءت بها الرسل الكرام فى أى زمان ومكان، وهى عقيدة واحدة؛ لأنها منزلة من العليم الخبير الحكيم العزيز.

والقسم الثانى: يشمل العقائد الفاسدة على كثرتها وتعددها، وفسادها ناشىء من كونها نتاج أفكار البشر، ومن وضع مفكريهم وعقلائهم، وعلمهم محدوداً ومقيداً بقيود بشرية متمثلة فى عادات وتقاليد وأفكار.

وأحياناً يأتى فساد العقيدة من تحريفها، وتغييرها وتبديلها، كما هو الحال بالنسبة للعقيدة اليهودية والنصرانية فى الوقت الحاضر، فإنهما حرفتا منذ عهد بعيد، ففسادهما كان من هذا التحريف، وإن كانت عقيدتها سليمة الأصل [١].

ثالثاً: أين العقيدة الصحيحة اليوم؟

العقيدة الصحيحة لا توجد إلا فى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ؛ لأنهما محفوظتان لحفظ الله لهما قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩] والعقائد فى غير الإسلام وإن كان فى بعضها قليل من الحق، فإنها لا تمثل الحق ولا تجليه.

فالعقيدة الصحيحة السليمة لا توجد فى اليهودية ولا فى النصرانية، ولا فى كلام الفلاسفة... وإنما توجد فى الإسلام فى أصليه: الكتاب، والسنة ندية طرية صافية مشرقة، تملأ الفؤاد إيماناً ونوراً وحياة ويقيناً، ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِى مَا الْكِتَابُ وَلَا الإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِ﴾. [الشورى: ٥٢] وتقنع العقل بالحجة والبرهان: ﴿... إِنَّ فِى ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾. وتنسجم مع الفطرة: ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِى فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾. [الروم: ٣٠].

---

١ ـ انظر العقيدة فى الله: ١١.

رابعاً: ماذا تعنى العقيدة؟

العقيدة الإسلامية ضرورية للإنسان؛ لأنه بدونها تائه ضائع يفقد ذاته ووجوده، والعقيدة الإسلامية وحدها التى تجيب على التساؤلات التى شغلت ولا تزال تشغل الفكر الإنسانى، بل وتحيره من أين جئت؟ ومن أين جاء هذا الكون؟ من الوجد ؟ وما صفاته؟ ما أسماؤه؟ لماذا أوجدنا وأوجد الكون؟

ومادورنا فى هذا الكون؟ وما علاقتنا بالخالق الذى خلقنا ؟ وهل هناك عوامل غير منظورة وراء هذا العالم المشهور ؟ وهل هناك مخلوقات عاقلة مفكرة غير هذا الإنسان ؟ وهل بعد هذه الحياة حياة أخرى نصير إليها ؟ وكيف تكون تلك الحياة إن كان الجواب بالإيجاب ؟؟ لا توجد عقيدة سوى العقيدة الإسلامية اليوم تجيب على هذه الأسئلة إجابة صادقة مقنعة (١) وكل من لم يعرف هذه العقيدة، أو لم يعتنقها فإن حاله لن يختلف عن حال ذلك الشاعر البائس (٢) الذى لا يدرى شيئاً:

جئت، لا أعلم من أين، ولكنى أتيت
ولقد أبصرت، قدامى طريقاً فمشيت
وسأبقى سائراً إن شئت هذا أم أبيت
كيف جئت ؟ كيف أبصرت طريقى ؟
لست أدرى
أجديد أم قديم أنا فى هذا الوجود
هل أنا حر طليق أم أسير فى قيود
هل أنا قائد نفسى فى حياتى أم مقود
أتمنى أننى أدرى ولكنى
لست أدرى

---

(١) انظر: العقيدة فى الله ١٢ .

(٢) هو إيليا أبو ماضى من قصيدة له طويلة بعنوان (الطلاسم) من ديوانه (الجداول) : ١٠٦ .

وطريقى ما طريقى ؟ أطويل أم قصير
هل أنا أصعد أم أنا أهبط فيه وأغور
أأنا السائر فى الدرب أم الدرب تسير ؟
أم كلانا واقف والدهر يجرى
لست أدرى
ليت شعرى وأنا فى عالم الغيب الأمين
أترانى كنت أدرى أننى فيه دفين
وبأنى سوف أبدو وبأنى سأكون
أم ترانى كنت لا أدرك شيئاً ؟
لست أدرى
أترانى قبلما أصبحت إنساناً سوياً
كنت محواً أو محالا أم ترانى كنت شيئا
ألهذا اللغز حل ؟ أم سيبقى أبدياً ؟
لست أدرى ولماذا ألست أدري
لست أدرى

وهذا الشاعر الملحد فقد معرفة الحقائق الكبرى فأصبح فى هذه الحيرة والقلق والشك والأمراض النفسية، وأين هو من المسلم الذى يدرى ويعرف معرفة مستيقنة كل هذه الحقائق، فإذا به يجد برد اليقين، وهدوء البال، وإذا به يسير فى طريق مستقيم إلى غاية مرسومة يعرف معالمها، ويدرى غايتها.

قال تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَلِكُم مِّن شَىْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ . [الروم : ٤٠] وقال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات : ٥٦] واستمع إلى الشاعر البائس يتحدث عن الموت والمصير .

إن يك الموت قصاصاً أى ذنب للطهارة ؟
وإن كان ثواباً ، أى فضل للدعارة
وإذا كان وما فيه جزاء أو خسارة
فلم الاسماء إثم وصلاح
لست أدرى

إن يك الموت رقاداً بعده صحو طويل
فلماذا ليس يبقى صحونا هذا الجميل
ولماذا المرء لا يدرى متى وقت الرحيل
ومتى ينكشف الستر فيدرى ؟
لست أدرى

إن يك الموت هجوعاً يملأ النفس سلاماً
وانعتاقاً لا اعتقالاً وابتداء لا ختاماً
فلماذا لا أعشق النوم ولا أهوى الحماما ؟
ولماذا تجزع الأرواح منه
لست أدرى

أو راء القبر بعد الموت بعث ونشور ؟
فحياة ، فخلود ، أم فناء فدثور ؟
أكلام الناس أصدق أم كلام الناس زور ؟
أصحيح أن بعض الناس يدرى
لست أدرى

إن أكن أبعث بعد الموت جثماناً وعقلاً
أترى أبعث بعضاً أم ترى أبعث كلاً
أترى أبعث طفلاً أم ترى أبعث كهلاً ؟
ثم هل أعرف بعد الموت ذاتى ؟
لست أدرى [1] .

---

١ ـ هو إيليا أبو ماضى من قصيدة له طويلة بعنوان (الطلاسم) من ديوانه (الجداول) : ١٠٧ .

(لست أدرى) تلك هى الإجابة عن التساؤلات الخالدة وليست هى قولة شاعر فحسب (فسقراط) الفيلسوف الذى يعد من عمالقة الفلاسفة، يقول بصريح العبارة (الشيء الذى لا أزال أجهله جيداً أننى لست أدرى) (١). بل إن (اللا أدرية) مذهب فلسفى قديم.

إنه الضلال: الضلال عن الحقيقة، إنه الشقاء، شقاء القلب وتعاسة النفس وضياع الضمير المثقل المكدود، وكم فى الحياة من أمثال هذا الشاعر البائس الضال، بعضهم يستطيع أن يفصح عن شقوته، وحيرته، وبعضهم يحس ويعانى وتبقى أفكاره حبيسة نفسه الشقية (٢).

بالإسلام وحده يصبح الإنسان يدرى، يدرى من أين جاء؟ وإلى أين المصير؟ يدرى لماذا هو موجود وما دوره فى هذه الحياة؟ قال تعالى: ﴿ أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الملك: ٢٢] إن البشرية تخبطت فى دياجير الظلام، وانتكست فى مهاوى الشرك وضلت عن سواء السبيل، وانحرفت عن منهج التوحيد، الذى جاءت به الأنبياء والرسل، فأصيبت البشرية فى عقلها وفكرها وقلبها بالشرك، وما ينبثق عنه من ضياع فى المنهج والفكر والعقيدة والأخلاق، فانحرفت اليهودية عن التوحيد الذى جاء به موسى عليه السلام، على دراية من أحبارهم وعلمائهم، ولذلك غضب الله عليهم، وأضاعت النصارى الحق الذى جاء به عيسى عليه السلام فضلوا سواء السبيل.

فأصبحت البشرية فى ظلمة شديدة قبل نزول القرآن وبزوغ فجر الإسلام كانت البشرية قبل نزول القرآن تعج بركام العقائد والتصورات المنحرفة فى ذات الله، وفى الكون، وفى الحياة، وفى الإنسان، وفى الموت، وفى الجزاء، وفى الحساب، وفى الكتب السماوية، وفى رسل الله، وفى أقدار الله وقضائه، وأصبحت البشرية بين إفراط وتفريط بعيدة عن الصراط المستقيم، حادت عن الوسطية والاعتدال والاستقامة، فبعض البشر زعم أن الملائكة بنات الله، ثم عبدوا

---

(١) الدين للدراز: ٦٩. (٢) انظر: العقيدة فى الله: ١٥.

الملائكة كما فعل مشركو العرب، وبعضهم قالوا عزير ابن الله كما فعلت اليهود، ووصف المولى عز وجل بصفات لا تليق به ، صفات النقص وشبه بمخلوقاته، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

وشاعت بين البشرية عبادة الأصنام، إما بوصفها تماثيل للملائكة، وإما بوصفها تماثيل للأجداد، وإما لذاتها، وكانت الكعبة التى بنيت لعبادة الله وحده تعج، بالأصنام، إذ كانت تحتوى على ثلاثمائة وستين صنماً، غير الأصنام الكبرى فى جهات متفرقة.

ومما يدل على أن اللات والعزى ومناة كانت تماثيل للملائكة ما جاء فى القرآن الكريم فى سورة النجم : ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللاتَ وَالْعُزَّىٰ (١٩) وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَىٰ (٢٠) أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الأُنثَىٰ (٢١) تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ (٢٢) إِنْ هِيَ إِلاَّ أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَىٰ (٢٣) أَمْ لِلإِنسَانِ مَا تَمَنَّىٰ (٢٤) فَلِلَّهِ الآخِرَةُ وَالأُولَىٰ (٢٥) وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلاَّ مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ (٢٦) إِنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلائِكَةَ تَسْمِيَةَ الأُنثَىٰ (٢٧) وَمَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ﴾ [النجم ١٩ - ٢٨].

وانتشرت بين الناس عبادة الكواكب، وكانت قبيلة حمير تعبد الشمس وكنانة : القمر، ولخم وجذام : المشترى، وطى : سهيلاً، وقيس : العبور، وأسد : عطارد.

وقد جاء عن هذا فى سورة فصلت: ﴿ لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ . [فصلت :٣٧] وجاءت فى سورة النجم: ﴿ وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَىٰ ﴾ . [النجم :٤٩] وكثرت الإشارات إلى خلق النجوم والكواكب، وربوبية الله سبحانه لها كبقية خلائقه، وذلك لنفى الوهية الكواكب وعبادتها، لقد سادت الصورة الشائهة للتصورات فى الجزيرة العربية، حيث بلاد الشام والرومان، حيث النصرانية المحرفة، واليهودية المغضوب عليها، وأصبحت البشرية شرقاً وغرباً، جنوباً وشمالاً تعج بركام من بقايا العقائد السماوية المحرفة،

ويجثم على ضمير البشرية في كل مكان، والذي كانت تنبثق منه أنظمتهم وأوضاعهم وآدابهم وأخلاقهم (١).

من ثم كانت عناية الإسلام الكبرى موجهة إلى تحرير أمر العقيدة وتحديد الصورة الصحيحة التي يستقر عليها الضمير البشري في حقيقة الألوهية، وعلاقتها بالخلق، وعلاقة الخلق بها.. فتستقر عليها نظمهم وأوضاعهم وعلاقتهم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وآدابهم وأخلاقهم كذلك، فلا يمكن أن تستقر هذا الأمور كلها، إلا أن تستقر الألوهية وتتبين خصائصها واختصاصاتها.

وعن الإسلام (في أصليه الكتاب والسنة) بإيضاح طبيعة الخصائص والصفات الإلهية المتعلقة بالخلق والإرادة والهيمنة والتدبير.. ثم بحقيقة الصلة بين الله والإنسان ... فلقد كان معظم الركام في ذلك التيه الذي تخبط فيه العقائد والفلسفات، مما يتعلق بهذا الأمر الخطير الأثر في الضمير البشري وفي الحياة الإنسانية كلها.

فالذي يعرف الجاهلية هو الذي يدرك قيمة الإسلام، ويعرف كيف يحرص على رحمة الله المتمثلة فيه، ونعمة الله المتحققة به، إن جمال هذه العقيدة وكمالها وتناسقها وبساطة الحقيقة الكبيرة التي تمثلها... إن هذا كله لا يتجلى للقلب والعقل، كما يتجلى من مراجعة ركام الجاهلية ـ السابقة للإسلام واللاحقة ـ عندئذ تبدو هذه العقيدة رحمة... رحمة حقيقية... رحمة للقلب والعقل. ورحمة بالحياة والأحياء.

رحمة بما فيها من جمال وبساطة، ووضوح وتناسق، وقرب وأنس، وتجاوب مع الفطرة مباشر عميق (٢).

خامساً: هل تطورت العقيدة عبر الزمان؟

يرى كثير من الباحثين الغربيين أن الإنسان لم يعرف العقيدة على ما يعرفها عليه اليوم مرة واحدة، ولكنها ترقت وتطورت في فترات وقرون متعاقبة، ولا

---

(١) انظر خصائص التصور الإسلامي ومقوماته: ٤٢.

(١) انظر: المرجع السابق: ٤٦.

عجب أن يقول بهذا الإفك من لم يمنحهم الله كتابه الذى بين فيه تاريخ العقيدة بوضوح لا لبس فيه ، إلا أن الغريب أن يسلك هذا المذهب رجال يعدون أنفسهم ويعدهم غيرهم باحثين مسلمين.

ومن أمثال أولئك : عباس محمود العقاد الذى يرى فى كتابه (الله) وهو كتاب يبحث فى نشأة العقيدة الإلهية : أن الإنسان ترقى فى العقائد، ويرى أن ترقى الإنسان فى العقائد موافق تماماً لترقيه فى العلوم.

يقول :(كانت عقائد الإنسان الأولى مساوية لحياته الأولى، وكذلك كانت علومه وصناعاته، فليست أوائل العلم والصناعة بأرقى من أوائل الأديان والعبادات، وليست عناصر الحقيقة فى واحدة منها بأوفر من عناصر الحقيقة فى الأخرى)(١).

بل يرى أن تطور العقيدة لدى الإنسان كان أشق من تطور العلوم والصناعات ويقول: وينبغى أن تكون محاولات الإنسان فى سبيل الدين أشق وأطول من محاولاته فى سبيل العلوم والصناعات؛ لأن حقيقة الكون الكبرى أشق مطلباً وأطول طريقاً من حقيقة هذه الأشياء المتفرقة التى يعالجها العلم تارة والصناعة تارة أخرى.

ويرى أن الحقيقة الإلهية لم تتجل للناس مرة واحدة يقول :« فالرجوع إلى أصول الأديان فى عصور الجاهلية الأولى لا يدل على بطلان التدين، ولا على أنها تبحث عن محال، كل ما يدل عليه أن الحقيقة الكبرى أكبر من أن تتجلى للناس كاملة فى عصر واحد)(٢) .

ثم أخذ يستعرض آراء الباحثين فى تاريخ العقيدة، فمنهم من يرى أن السبب فى نشأة العقيدة هو ضعف الإنسان بين مظاهر الكون وأعدائه من قوى الطبيعة والأحياء، بعضهم يرى أن العقيدة الدينية عبادة (الطوطم)، كأن تتخذ بعض القبائل حيوانا (طوطمياً) تزعمه أباً لها، وقد يكون شجراً أو حجراً يقدسونه،

---

(١) العقيدة فى الله ص (٢٤٣) نقلاً عن كتاب الله (للعقاد).

(٢) المرجع السابق: ٢٤٤ .

إلى آخر تلك الفروض التى قامت فى أذهان الباحثين الغربيين.

ومع الأسف فقد سرت هذه النظرية إلى بعض الكتاب مثل: مصطفى محمود فى كتابه (الله) واعتنقها جملة من الدارسين أوقع هؤلاء فى هذا الخطأ أمور:

الأول: أنهم ظنوا أن الإنسان اهتدى إلى العقيدة بدون معلم يعلمه ومرشد يوضح له، فما دام الأمر كذلك فلا بد أن يترقى فى معرفته بالله كما ترقى فى العلوم والصناعات.

ثانيا: أنهم قدروا أن الإنسان الأول خلق خلقاً ناقصاً غير مؤهل لأن يتلقى الحقائق العظمى كاملة، بل إن تصوراتهم عن الإنسان الأول تجعله أقرب إلى الحيوان منه إلى الإنسان.

الثالث: أنهم عندما بحثوا فى الأديان ليتبينوا تاريخها لم يجدوا أمامهم إلا تلك الأديان المحرفة أو الضالة فجعلوها ميدان بحثهم، فأخضعوها للدراسة والتمحيص، وأنى لهم أن يعرفوا الحقيقة من تلك الأديان التى تمثل انحراف الإنسان فى فهم العقيدة (١).

سادساً: القرآن وحده يوضح تاريخ العقيدة:

ليس هناك كتاب فى الأرض يوضح تاريخ العقيدة بصدق إلا كتاب الله سبحانه وتعالى، ففيه علم غزير فى هذا الموضوع، وعلم البشر لا يمكن أن يدرك هذا الجانب إدراكاً وافياً لأسباب:

الأول: أن ما نعرفه عن التاريخ الإنسانى قبل خمسة آلاف عام قليل، أما ما نعرفه قبل عشرة آلاف عام فيعتبر أقل من القليل، وما قبل ذلك يعتبر مجاهيل لا يدرى علم التاريخ من شأنها شيئاً، لذا فإن كثيراً من الحقيقة ضاع بضياع التاريخ الإنسانى.

الثانى: أن الحقائق التى ورثها الإنسان اختلطت بباطل كثير، بل قد ضاعت فى أمواج متلاطمة فى محيطات واسعة من الزيف والدجل والتحريف، ومما يدل على ذلك أن كتابة تاريخ حقيقى لشخصية أو جماعة ما فى العصر الحديث تعتبر من أشق الأمور، فكيف بتاريخ يمتد إلى فجر البشرية ؟

---

(١) المرجع السابق: ٢٤٤، ٢٤٥.

الثالث : أن قسما من التاريخ المتلبس بالعقيدة لم يقع فى الأرض، بل فى السماء (١) . لذا كان الذى يستطيع أن يمدنا بتاريخ حقيقى لا لبس فيه هو الله سبحانه وتعالى :﴿ إنَّ اللَّه لا يَخْفَىٰ عَلَيْه شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ ﴾ . [آل عمران : ٥] .

تاريخ العقيدة كما يرويه القرآن الكريم :

أعلمنا الله سبحانه أنه خلق آدم خلقاً مستقلاً سوياً متكاملاً، ثم نفخ فيه من روحه، وأسكنه جنته، وأباح له أن يأكل هو وزوجته منها كيف يشاء إلا شجرة واحدة، فأغراه عدوه إبليس بالأكل من الشجرة، فأطاع عدوه، وعصى ربه فأهبطه الله من الجنة إلى الأرض، وقبل الهبوط وعده الله سبحانه بأن ينزل عليه وعلى ذريته هداه كى يعرف الإنسان بربه ومنهجه وتشريعه، ووعد المستجيبين بالهداية فى الدنيا والسعادة فى الآخرة، وتوعد الله المستكبرين بالمعيشة الضنكة فى الدنيا وبالشقاء فى الآخرة ﴿ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (٣٨) وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ . (البقرة : ٤٨ - ٣٩) . وفى سورة طه يقول سبحانه : ﴿ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَىٰ (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا (١٢٥) قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴾ . [طه : ١٢٣ - ١٢٦] .

سابعاً : الجيل الأول كان على التوحيد .

هبط آدم إلى الأرض، وأنشأ الله من ذريته أمة كانت على التوحيد الخالص كما قال تعالى : ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾ أى على التوحيد والدين الحق، فاختلفوا ﴿ فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ﴾ . (البقرة : ٢١٣) .

---

(١) المرجع السابق : ٢٤٥ .

وفى حديث أبى أمامة أن رجلا سأل الرسول ﷺ قال: يا رسول الله أنبى كان آدم؟ قال: «نعم، مكلم»، قال: فكم بينه وبين نوح ؟ قال: «عشرة قرون». وذكر ابن عباس رضى الله عنه: أن كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الإسلام(١).

ومقدار القرن مائة سنة وعلى ذلك يكون بين آدم ونوح ألف سنة وقد تكون المدة أكثر من ذلك إذ قيد ابن عباس هذه القرون العشرة بأنها كانت على الإسلام، فلا ينفى أن يكون بينهما قرون أخرى على غير الإسلام. وقد يكون المراد بالقرن الجيل من الناس قال تعالى: ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ ﴾ . (الإسراء:١٧) وقوله: ﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴾ .[المؤمنون:٣١].

١ ـ تفسير الطبرى : ٢ / ٣٣٥، ٣٣٦ .